حينما نخطيء ونعتذر.. نتعلم الشيء الكثير

جرفني تيار مليء بكلمات تدنو حروفها من يدي.. هذه الكلمات تتشابه في معناها.. وتتباين في حروفها.. وهي جديرة بأن يخطها القلم ويسطرها الورق بدل تقوقعها حول نفسها بعيداً عن سطور الورق.. تحكي هذه الكلمات عن التسامح وعذوبته والصفح وشفافيته والعفو عند المقدرة وكذلك تقديم الاعتذار وقبوله.. فمعاني التسامح تكمن بطيات الاعتذار الذي يسكن بجوار العفو في داخل خبايا الصفح. التسامح يعبر عنه بكلمة حلوة تعطر الشفاه أو بكلمة مسطرة على ورق بحبر يخطها الاعتذار أو قد تتجسد الكلمة على هيئة هدية رمزية تهدي لمن أسانا إليه بهفواتنا المقصودة وغير المقصودة على حد سواء.. والإنسان العظيم لايعظم شانه ولايعلون قدره إلا حين نلمس منه مدى تسامحه، وطيبة أخلاقه وكرم ذوقه.. فهذا يدل على شخصيته الفذة إن صح التعبير فشخصية الإنسان تقاس دائماً بحسن النية، وحسن المشاعر، ويظهر ذلك في سلوكه الذي تتوجه الأخلاق.. فيبقى معدنه أصيلاً بقاء الدهر.. ولاباس أن أذكر أن صفة التسامح منبثقة من مصدر قوي نادى به، وطالب بضرورة وجوده وبقائه بين البشر، ألا وهو دين السماحة واليسر، دين الصفح والعفو. ولاننسى أن رسولنا صلوات الله وسلامه عليه قد طالب بمحاسن الأخلاق، ومن ضمنها التخلق والسماحة وبسعة الصدر.. فقد أدبنا الإسلام بتعاليمه السمحة بضرورة تغلب روح الصفح والتسامح على روح الانتقام وحبب التغاضي بل والتجاوز عن الأخطار والإعراض عن الإساءة أو التجريح لأحد.

والإنسان يخطأ وغير معصوم عن الخطا.. وكلانا يخطيء وجل من لايخطيء.. فنحن حين نخطيء ونعتذر، نتعلم الشيء الكثير حيث نجعل من أخطائنا في الماضي عبرة لنا، ونبراساً نسير عليه فنبدأ في فتح صفحة جديدة.. والإنسان بطبيعته ميال للتسامح وقبول الاعتذار.. وفي ذلك يقول شاعر:

تحمل زلة الاخوان عنهم

إذا زلوا وكن بهم رفيقا

والذي يرى مدى أهمية التسامح وعظمة الصفح، وجلاء العفو عند المقدرة على مر التاريخ بين دفتي الزمن، سيرى بلاريب مدى فاعليتها في نفوس البشر، وأثرها في صفاء القلوب وعودة المياه إلى مجاريها.. فسوء التفاهم مستقر لامحالة بالحقد والمقاطعة بل وبتبادل الانتقام وربما يؤدي لنشوب الخلاف وتشعب الأمور وتفاقهما ولاسيما إذا لم يرو بكلمة صفح من فرد هين لين يالف ويؤلف، وأنا قد آثرت أن يكون الموضوع هذه المرة عن التسامح وقيمته بعد مابات يركن بعيداً عن قاموس حياتنا، وبعد ما أصبحت آثاره تزول وتنمحي شيئاً فشيئاً.. حين أخذ البعض يطلق عليه في وقتنا الحاضر بانه عنوان لأصحاب الشخصيات الضعيفة والمهزوزة.

ألم يدرك الإنسان بعد أن كلمة طيبة كالتسامح بإمكانها أن تذيب براكين ثائرة من الحقد وثورات عارمة من الغضب والتي تلتف حول الإنسان المخطيء؟!.. وأن مجرد اللجوء للاعتذار يمكن أن يكون كبلسم للجراح يغمر من أسانا إليه بالحب والإخلاص من جديد؟!... حقاً إني لأعجب من أولئك الذين يحتقرون شان المعتذر إليهم.. والذين ينظرون لمعاني التسامح الجليلة بمنظار الاحتقار.. ليؤدي بعد ذلك لتفاقم الأمور وحدوث مشكلات لاحصر لها تداهم الفرد من كل صوب وناحية.. ولايسعني وأنا أنهي هذه السطور إلا أن أقول:

طوبى لمن علمته الحياة صفة التسامح فتحلى بها.. وسمة العفو فاتخذها مفتاح حياته..

فالتسامح من صفات الله.. والعفو من شيم الكرام.. وهما خصلتان جديرتان بالتقدير والاحترام..

●● آخر الكلام..

إن أجمل مافي الحياة أن تتجلى معاني التسامح وتبدو صوره واضحة، فتطفيء لهيب الغضب وتخمد نار الحقد قبل تحوله إلى رماد تذروه الرياح في المجتمع.. فتؤدي لاندثار معاني الحب، والوفاء، والإخلاص، والتسامح...

ماأحوجنا إلى امتلاك شجاعة الاعتذار عند إساءتنا للغير، وشجاعة العفو عند إساءة الناس إلينا كما يقول في ذلك الأستاذ علي أمين: «يارب إذا أسأت إلى الناس؛ فاعطني شجاعة الاعتذار؛ وإذا ما أساء الناس إلى فاعطني شجاعة العفو»..

هند السويدي.. ـ جامعة قطر